مقالة في كيفيات الاظلال في الضوء .
في صورة الكسوف .

في كتاب (في صورة الكسوف) (لنشر الى عبارة الصورة) تحدث ابن الهيثم عن تطبيق الحجرة المظلمة ، واستعمالها في مراقبة الكسوف الشمسي . اذن ابن الهيثم يعلم تطبيقيا بوجود الحجرة المظلمة ، كما انه توصل الى انتاج صورة خيالية وهي انعكاس صورة الكسوف . هذا عطاء ابن الهيثم كفلكي . غير ان هناك ابن الهيثم العالم الطبيعي وعالم البصريات . بعد اهتمامه بمشاكل العين والرؤية ، كان من الطبيعي ان يشير الى ويتحدث عن مبدا بقاء الرؤية ، وهنا ايضا بصفة تطبيقية . هذا هو ما سميناه بالدائرة النارية وهي تجربة علمية ، قام بها ابن الهيثم ويمكن تجديدها .

: لناخذ عمودا يشتعل نارا ولنجعله يدور دورانا سريعا امام عين مبصرة ، اذ ذاك تشاهد العين دائرة منتظمة متتابعة . عند اغماض الجفنين ، يستمر الاحساس بالدائرة الضوئية منطويا في شبكة العين . هذه الحقيقة البصرية تشكل المبدا الاساسي الثاني لاختراع السينما : فالعين تستغرق جزءا من ثانية في تسجيل انطباع الخيال ونقله الى المخ . وبعد ان تتلقى العين الانطباع تحتفظ به مدة تتراوح بين جزء على عشرين (20/1) وجزء على عشرة (10/1) من ثانية ، بعد ان يكون الخيال نفسه قد اختفى ، ، ووفقا لهذا تقوم آلة العرض السينمائي بسحب الفيلم بين الضوء والعدسة في حركة (توقف وانطلاق) بحيث يتوقف عرض الفيلم بعد كل اطار فترة تكفي لكي تتلقى العين الصورة ، حتى اذا ما احتفظت العين بالخيال قامت آلة العرض بتقديم الاطار الموالي الى ان تعطي حركة التوقف والانطلاق هذه وهم صورة مستمرة (متحركة . ملاحظة وتطبيق بقاء الرؤية اول من اهتم به فيما يخص السينما هو ماري ((Marcy)) وقد سمى اختراعه : كرونوفوتوغراف) .

12) نرى ان المبدانين الاساسيين اللذين يؤديان الى اختراع آلة السينما وهما : 1) تسجيل العالم الواقعي بوسيلة الحجرة المظلمة . 2) انتاج الحركة وتوهم استمرارها عن طريق بقاء الرؤية، موجودان في كتاب ابن الهيثم . غير ان السينما كآلة كاملة جاهزة لم تر الوجود الا سنة 1895 (تاريخ تسجيل حق اختراع « السينماتوغراف » ((Cinématographe)) من طرف الاخوين لوميير ((Lumière)) وليس في عام 1000 العصر الذي عاش فيه ابن الهيثم بالقاهرة . السينماتوغراف كما قلنا هو نتيجة وعطاء الفكر العلمي التكنولوجي الخاص بالقرن التاسع عشر الغربي . واما خطاب ابن الهيثم فهو خطاب علمي تطبيقي ومادي يكون حلقة من حلقات سلسلة النص العلمي الحلزونية اللامتناهية لما احتوى عليه من تطبيق للحجرة المظلمة ومن تجربة لبقاء الرؤية .

13) فكان على باقي الحلقات ...

طنجة ـ باريس 1973 .

* بنفس العنوان ، نشرت مجلة Intégral « تقطيع تقني فيلمي »

● مغامرة فيلم / رندة الشهال

هذه الشهادة كتبتها رندا الشهال ، المخرجة اللبنانية الشابة ، حول فيلمها الاول « خطوة ... خطوة » الذي عرض في مهرجان (كان) الاخير وفي بيروت . انها شهادة التحدي والاصرار على المواجهة وتحمل المسؤولية في مرحلة صعبة ، هي مرحلة الحرب ، ورغم كل المثبطات والمعوقات العملية التي واجهتها .

ـ هل انت راضية عن فيلمك « خطوة ... خطوة » ؟
ـ مقتنعة .. لكنني غير راضية ؟

ـ لمـــاذا ؟

احاول ان اتذكر لماذا .. ثلاث سنوات من التحضير والجفف والتصوير والتوليف ، والجري وراء ثلاث دقائق من المواد الارشيفية ، وثلاث دقائق موسيقى . السفر ، الغربة . غرفة التوليف الصغيرة السوداء، وراديو صغير في باريس ، يبث الاخبار، ما الذي يحدث في لبنان ؟ وانا هنا في هذا البلد الغريب وراء هذا الفيلم . فيلمي الذي علي ان اتحمل مسؤولية كل شيء فيه . مدة عرضه . الصوت ـ الموسيقى ـ عدد اللقطات ـ المزج ـ شريط المؤثرات ـ شريط اصوات القتال ـ شريط التعليق ـ شريط الموسيقى التصويرية ـ شريط الفيلم الرئيسي ـ شريط لسد فجوات الصوت . المجموع عشرة اشرطة امام طاولة المزج . والآن ، توزيعها ، توزيع الادوار ، التعليق ، مراعاة الوضع ، الوضع السياسي الحالي ، احتمالات تغيره . رفض التغيير حتى لو تغير الوضع . الاصرار . مسؤولية الاصرار . وقف الانتاج . والآن : البحث عن منتج جديد . طرق الابواب بابتسامة عريضة . محاولة ابراز المشروع وكأنه سلعة . الرفض ، الصد الاول والثاني ، اليأس ، التعب ، العمل في المختبر . ودائما ذلك الراديو الذي يبث الانباء المؤلمة .

13 نيسان 1975 اذكر ، كنت في آخر السنة الدراسية الثانية في باريس .. قرار بالعودة تتلوه العودة فعلا . قرار بصنع الفيلم ، وتجميع فريق العمل . مهندس الصورة لا يريد الذهاب الى تلك المنطقة . مهندس الصوت لا يذهب الى الاخرى . لاتوجد افلام خام في السوق . للمكان الوحيد الذي يمكن طبع الشريط فيه هو ستوديو بعلبك ـ لكن الذهاب اليه اشبه بالانتحار . اذهب .

سؤال : مـن الـمـخـرج ؟

جـواب : انـــا .

سؤال (بدهشة) : انـت ؟

وتنفتح العيون بابتسامة عريضة . احاول ان ابدو غير مبالية . تعليق من الاصدقاء : سينما ؟ اليس من الافضل لك ان تتعلمي فن الطبخ ؟

الاستمرار ضروري رغم كل شيء . الهدنة . وقف اطلاق النار حين نكون مستعدين للتصوير. ثم يندلع القتال . سنتان على هذا الحال .

احيانا يطغى شعور بان الحرب لن تنتهي . وان ثمة طوفانا جارفا . احيانا لا اعرف لا كيف انتهي ولا كيف ابدا . انقلاب عسكري . انتخابات رئاسية . معارك الجبل . تل الزعتر ، ماذا يقول الرفاق ؟ والمسؤولون ؟ الهجرة مرة اخرى والسفن والجنوب . والشمال لا يمكن الوصول اليه الا عن طريق البحر .

غالبا يأتي شعور بالتهور . وبان ما يحدث اضخم من ان يوضع في ملف او كتاب او فيلم . لكن الاستمرار ضروري مهما كلف الامر . وكذلك ضروري البحث عن المساعدة مع الحرص على رفض التنازلات .

رسائل الاهل : « نرجو الانتباه والحرص . لا شك انك تعبة ومنهكة . يجب الاستمرار ، نعلم ان العمل سيكون جيدا ، ونعلم انك لست بحاجة الى تشجيع . استشهد نبيل وسعيد ونافذ ومصطفى . كان القصف شديدا . يرجى الانتباه على الصحة والحذر » .

استشهد نبيل وسعيد ، و .. الباقون يتابعون . ضرورة التغلب على الحزن والمتابعة . وراء الكاميرا ثمة شعور بالخجل ازاء مهجري الكرنتينا الواقفين امامها يحكون عما حدث ، وراء الكاميرا ننتظر المصيبة والقذيفة والموتى لكي نصور . هذا ضروري . احدى وظائف السينما التسجيلية ، ليس فقط الاشياء المفرحة أو التحريضية أو النضالية . نبدو وكأننا نثاب . وكأننا نتمنى ان تقع الكارثة الاكبر امام الكاميرا حتى نتمكن من تصوير الافظع .

مرت سنتان ولم ينته العمل . تعلو الاصوات الساخرة المتفكهة وتطو التعليقات . والكل مقتنعون : صحيح هناك مشاكل . صحيح هناك صعوبات ، ولكن ان ارادت انجاز الفيلم استطاعت انجازه . يغيب الجميع ، ولا يبقى سوى الاهل يرسلون الى باريس ماء الزهر والرسائل ، ولا يبقى سوى شعور بالتحدي .

عام آخر وينتهي توليف الفيلم . بعده العرض .

ـ هل انـت راضيـة ؟

ـ مقتنعة .. لكنني غير راضية .

مقتنعة بضرورة تسجيل هذه المرحلة . مقتنعة ان هذا العمل ، كان اقصى ما يمكن اعطاؤه في المرحلة . مقتنعة أن الاخطاء لا بد منها . وعد بالانتباه اكثر في المرات القادمة . مقتنعة